القصة الثانية:

الهجرة الكبرى

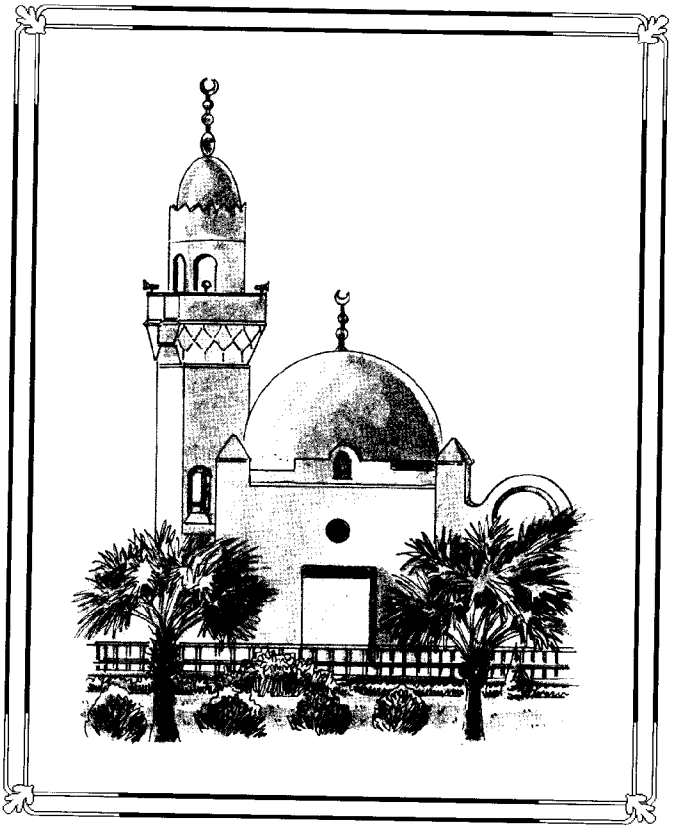

الله الخالق

خلقَ اللهُ النورَ، ومنهُ خلقَ الملائكةَ.

وخلقَ اللهُ النارَ، ومنهَا خلق الجنَّ.

وخلقَ اللهُ الترابَ. ومنهُ خلقَ الإنسانَ.

الخالقُ سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، إذا دعوتهُ أجابَ الدعاءَ.

كلُّ المخلوقاتِ تلقتِ الأمرَ بالحركةِ من ذلك الخالقِ.

الأشياءُ التي نحسَبُها واقفةً، هي في حالةٍ من الحركةِ والترحالِ!

الأرضُ التي نعيشُ عليها ترتحلُ في كلِّ لحظةِ وجودٍ، لأنَّ كلَّ الأحياءِ والجماداتِ تتحركُ كلَّ لحظةٍ.

النجومُ والشمسُ والقمرُ كلها في رحلةٍ، تسيرُ منْ مكانٍ إلى آخرَ. الأحياءُ كلها تغيرُ أماكنها.

والجماداتُ كلها تتحركُ، مثلاً:

يتبخرُ الماءُ، ويصيرُ مطراً، وينزلُ، يجريْ في الأنهارِ، ويصلُ إلى البحارِ.

ثم يتبخر مرة ثانية ... وهكذا!!

خلقَ اللهُ الدنيا،

وخلقَ الماءَ.

وخلقَ من الماءِ كلَّ شيءٍ حي.

من الجنة إلى الدنيا

خلقَ اللهُ آدمَ عليه السلامُ، وفضَّله وكرَّمهُ على كثيرٍ من المخلوقاتِ.

أسكنَ اللهُ آدمَ في الجنةِ، وكان إلى جانبه زوجتُهُ حواءُ.

تصرَّفَ آدمُ وزوجتهُ تصرفاً خاطئاً، وخالفا أمرَ اللهِ،

فأنزَلَهُما اللهُ من الجنةِ إلى الأرضِ.

الأرضُ هيَ الدنيا، وفي الدنيا صارَ لآدمَ وحواءَ أولادٌ كثير.

صارَ آدمُ أبا الإنسانيةِ، وحواءُ أمَّها!

كان آدمُ رسولاً، علَّمَ أولادَهُ طريقَ الخيرِ. ثم ماتَ.

جاءَ بعدهُ رسلٌ كثيرونَ ! منهم إدريسُ ونوحٌ ....

في زمانِ نوحٍ صار طوفانٌ كبيرٌ، وغرِق خَلْقٌ كثيرٌ، ونَجَّى اللهُ المؤمنينَ الذينَ ركِبوا في السفينةِ معَ نوحٍ عليهِ السلامُ. واستوتِ السفينةُ على جبلِ الجوديِّ.

تكاثَر الناسُ من نسلِ نوحٍ عليهِ السلامِ مرةً أُخرى!

الناسُ الموجودونَ اليومَ كلّهم من نسلهِ عليهِ السلامُ!

بعدَ نوحٍ أرسلَ اللهُ سبحانه إبراهيمَ وصارَ له ولدانِ: إسماعيلُ وإسحاقُ.

كبرَ إسماعيلُ وبنى الكعبةَ مع أبيهِ،

سكنَ إسماعيلُ في مكةَ، وتزوَّجَ وصارَ لهُ أولادٌ كثير!

مرَّتِ العصورُ، ومرَّ أنبياءُ كثير.. هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ وموسى وداودُ وزكريا وعيسى عليهمُ الصلاةُ والسلامُ. وغيرُهُمْ كثير!!

اخضرَّ وجهُ الأرضِ ويبسَ آلافَ المراتِ!

ونشبتِ الحروبُ، وحلَّ السلامُ آلافَ المراتِ!

وتوالتِ الولادةُ والوفاةُ ملايينَ المراتِ!

صباحٌ مشرقٌ

في يومِ الاثنينِ، من شهرِ نيسانَ منْ عامِ ٥٧١ م كانَ الفصلُ ربيعاً، وكانَ الشهرُ ربيعاً الآخرَ أيضاً!

وفي الجزءِ الجنوبيِّ الغربيِّ منْ قارةِ آسيا، في مكةَ المكرمةِ قريباً منَ الكعبةِ التي بناها إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلامُ حدثتْ ولادةٌ في حيٍّ بني هاشم!

في ذلكَ الصباحِ وقعتْ حوادثُ في الدنيا!

خسفٌ في الأرضِ!

غورٌ في المياهِ!

انطفاءٌ في النيرانِ!

سقوطٌ في شرفاتِ القصورِ!

وإرسالُ الشهبِ!!!

كانَ في عالمِ الملائكةِ فرحٌ عظيمٌ، وكانَ في عالمِ الإنسِ والجنِّ حيرةٌ!!

كانَ الطفلُ الذي ولدتْهُ آمنةُ بنتُ وهبٍ منْ بني زُهْرَةَ مثلَ الزَهْرَةِ!

وكانَ الجميعُ سيحبونَ هذا الطفلَ.

أبوهُ لم يفرحْ به لأنهُ كانَ قَدْ ماتَ قبلَ ولادتهِ!

فرِحَ بِهِ جدُّهُ عبدُ المطلبِ، وسماهُ (محمداً) وهو أيضاً (أحمد).

ومعنى (محمد) أنه يكونُ محموداً عندَ الناسِ!

ومعنى (أحمد) أنهُ يحمدُ اللهَ كثيراً على نعمهِ!

نشأته صلى الله عليه وسلم

بقيَ محمد - صلى الله عليه وسلم - أربعَ سنواتٍ عندَ مرضعته حليمة،

وبقيَ سنتينِ عندَ أمهِ بعد ذلكَ،

وبقيَ سنتينِ بعدَ أمهِ معَ جدهِ.

مرَّتْ أيامُهُ جميعاً في رحلاتٍ صغيرةٍ،

اشتغلَ بالتجارةِ وذهبَ إلى الشامِ،

وفي شعابِ مكةَ رعى الأغنامَ.

في سفرِهِ الأولِ معَ عمِّهِ إلى الشامِ خاطبَهُ الراهبُ باسمهِ الذي في الإنجيلِ (أحمد).

محمد الأمين

وفي الخامسةِ والعشرينَ من عمرهِ تزوَّجَ خديجةَ التي شاركتْهُ في التجارةِ.

وفي الخامسةِ والثلاثينَ من عمرهِ حلَّ المشكلةَ التي حصلتْ حولَ الكعبةِ بخصوصِ وَضْعِ الحجرِ الأسودِ في مكانِهِ! وكَسبَ بذلكَ رِضاءَ الجميعِ! وقالوا: محمدٌ الأمينُ!!

هذا يعني أنه موثوقٌ بِهِ، وحاملُ أمانةٍ ومسؤوليةٍ، وإنسانٌ مستقيمٌ.

في غار حراء

في سنِّ الأربعينَ مالَ محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى العبادةِ منفرداً، فكانَ يغدو ويروحُ إلى جبلِ حراءَ.

كانَ شهرُ رمضانَ على حسابِ الأشهرِ، عام ٦١٠ م على حسابِ السنينَ.

في شرقِ مكةَ، في قمةِ جبلِ حراءَ حيثُ تبدو الكعبةُ من واجهةِ الصخرةِ، كانَ محمدٌ مستغرقاً في العبادةِ والذكرِ!

سمعَ صوتاً يقولُ لهُ:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

منْ ذلكَ اليومِ بدأتْ رسالتُهُ منَ السماواتِ، وبدأَ الخبرُ منَ السماءِ إلى الأرضِ!!

كانَ اللهُ سبحانَهُ يوحي إلى عبده .. جَبْرائيلُ كانَ يأتيهِ بالوحْيِ.

أعظمُ إنسانٍ كانَ يحملُ النورَ الذي يهدي كلَّ الناسِ.

آمنَ بعضُ الناسِ فُرَادَى.

ذاعَ الخبرُ بعدَ إيمانِ عائلتهِ حولها.

كانَ ذلكَ الخبرُ هُوَ الإسلامَ.

انتشار الإسلام

صارَ عددُ المؤمنينَ أربعينَ بإسلام عمرَ بن الخطاب ، وكانَ أبو بكرٍ وعثمانُ وعليٌّ أسلموا قبلَهُ.

ساروا إلى الكعبةِ، وبدأَ الإسلامُ يكونُ جماعةً.

بدأتْ حركةُ التطهُّرِ من الشركِ، وبدأَ المشركونَ بالمعارضةِ!

كانَ هذا يعني بدايةَ النهايةِ للعصرِ الجاهليِّ.

وقعتْ حادثةُ الإسراءِ والمعراجِ، فأُسْرِيَ بنبيِّنا محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منَ المسجدِالحرامِ في مكةَ إلى المسجدِالأقصى في القدْسِ من أرضِ فلسطينَ!

وعُرِجَ بهِ إلى السماواتِ!

وَصَلَ محمدٌ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإذنِ اللهِ إلى أعلى مقامٍ!

سار من مكةَ إلى القدسِ، وعُرِجَ به من القدسِ إلى السماواتِ!

وصلَ إلى السماءِ السابعةِ!

رأى في السماواتِ آياتٍ عظيمةً!

رأى عدداً من الأنبياءِ، وفُرِضَتِ الصلواتُ الخمسُ في اليومِ والليلةِ!

منْ مكةَ إلى القدسِ، ومنَ القدسِ إلى السماواتِ، ورجعَ إلى مكةَ ثانيةً في ليلةٍ واحدةٍ.. بلْ في جزءٍ من الليلِ بأمرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى!

إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ!

عادَ نبينا محمدٌ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إلى البشر ثانيةً، لأنَّ الأمرَ الإلهيَّ أنْ يعملَ محمدٌ لإصلاحِ الناسِ!

أرادَ اللهُ الخالقُ الواحدُ أنْ يُعلِّمَ الناسَ كيفَ يكونُ الإنسانُ عبداً للهِ وَحدَهُ!

بدأ محمدٌ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يبلِّغُ دعوتَهُ للناسِ جميعاً!

بلَّغَ كلَّ منْ قابلَهُ، ودعاهُ إلى الطريقِ الحقِّ.

الطريق إلى المدينة

التقى النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ بعشَرةِ رجالٍ منْ (يثربَ) في مكةَ في موسمِ الحجِّ،

علَّمَ أولئكَ الرجالَ الإسلامَ.

بدأ الدينُ ينتشرُ في يثربَ، وبتكرارِ هذا اللقاءِ ثلاثَ مراتٍ صارتْ يثربُ بلدَ الإسلامِ، وصارَ اسمُها المدينةَ النبويةَ، والمدينةَ المنورةَ، وطيبةَ!

بدأ المؤمنون بالهجرة إلى المدينةِ.

الهجرة الكبرى

وفي نهايةِ آبَ حدثتِ الهجرةُ الكبرى.

خرجَ رسولُ اللهِ ومعَهُ أبو بكرٍ من مكةَ،

ثلاثةُ أيامٍ منَ الانتظارِ في جبلِ ثورٍ،

ثمانيةُ أيامٍ منَ السفرِ في الطريقِ،

ثلاثةَ عشرَ يوماً للاستراحةِ في قباءَ.

في ٢٣ من أيلولَ عام ٦٢٢ م.. أيْ في السنةِ الهجريةِ الأولى..

أقيمتْ دولةُ الإسلامِ!

كان الأساسُ يعتمد على الإنسانِ،

وكانَ الإنسانُ يعتمد على الحقِّ.

قيلَ لسكانِ المدينةِ الأصليينَ: الأنصارُ.

وقيلَ للذينَ هاجروا إليها: المهاجرونَ.

تآخى كلُّ واحدٍ منَ الأنصارِ معَ واحدٍ منَ المهاجرينَ.

تقاسموا أموالهمْ، وعملوا سوياً.

اقتتلوا في بدرٍ معَ المشركينَ فهزموهُمْ بإذنِ اللهِ.

وحاربوا في أحُدٍ، وتعلَّموا درساً!

في الخندقِ دافعوا عن المدينةِ فهزمَ اللهُ عدوهُمْ!

ثم فتحَ اللهُ مكةَ، وطهرَ الرسولُ المسجدَ الحرامَ منَ الأصنامِ،

ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً!

أركان الإسلام

كلُّ واحدٍ منَ المسلمينَ عرفَ أركانَ الإسلامِ الخمسةَ:

شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ.

وإقامةُ الصلاةِ.

وإيتاءُ الزكاةِ.

وصومُ رمضانَ.

وحجُّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلاً.

وعَرَفَ كلُّ واحدٍ منَ المسلمينَ أنَّ الصلاةَ لا تصحُّ بدونِ طهارةٍ!

فطهروا أجسامَهُمْ و أثوابَهُمْ.

وتعلموا الوضوءَ للصلاةِ، لأنَّ الصلاةَ لا تُقْبلُ بغيرِ وضوءٍ.

وتعلمَ المسلمون التيمُّمَ إذا أرادوا الصلاةَ، ولم يجدوا ماءً!

وتعلمَ المسلمونَ أن للصلواتِ أوقاتاً خمسةً، وركعاتٍ محددةً هيَ:

صلاةُ الفجرِ ركعتانِ.

صلاةُ الظهرِ أربعُ ركعاتٍ.

صلاةُ العصرِ أربعُ ركعاتٍ.

صلاةُ المغربِ ثلاثُ ركعاتٍ.

صلاةُ العشاءِ أربعُ ركعاتٍ.

وتوجهوا في صلواتِهِمْ إلى الكعبةِ المُعَظمةِ في مكةَ المكرمةِ!

وعرفَ المسلمونَ أنَّ الصومَ إمساكٌ عن الطعامِ والشرابِ من طلوعِ الفجرِ إلى غروبِ الشمسِ كلَّ يومٍ في شهرِ رمضانَ!

وعرفَ المسلمونَ أنَّ للفقيرِ حقاً في مالِ الغنيِّ هوَ الزكاةُ!

أخرجَ الأغنياءُ زكاةَ أموالهمْ، وأعطوها الفُقَراءَ.

المسلمونَ مثلُ الجسدِ الواحدِ، وكالأسرةِ الواحدةِ، يحبُّ بعضُهُمْ بعضاً!

وعلمَ المسلمون أنَّ اللهَ فرضَ على كلِّ مسلمٍ غنيٍّ غيرِ عاجزٍ أن يذهبَ إلى بيتِ اللهِ في مكةَ المكرمةِ للحجِّ مرةً واحدةً في العمرِ كلِّه!

فلذلكَ يُقبلُ آلافُ المسلمينَ القادرينَ كلَّ سنةٍ للحجِّ في شهرِ ذي الحِجَّةِ!

طاعةُ اللهِ ورسولِهِ طريقُ الجنةِ

المسلمُ إذا أدَّى أركانَ الإسلامِ الخمسةَ بقلبٍ مخلصٍ لله - سبحانَهُ - فإنَّ اللهَ يرضى عنهُ ويدخلهُ الجنةَ!

الجنةُ هيَ دارُنا التي كان فيها أبونا آدم وأمُّنا حواء !

أخطأَ آدمُ، وأخطأتْ حواءُ فأخرجهما اللهُ من الجنةِ، وأنزلهما إلى الأرضِ!

تابَ آدمُ، وتابتْ حواءُ عليهما السلامُ، فرضيَ اللهُ عنهما!

كلُّ واحدٍ منا إذا تابَ وآمنَ وعملَ صالحاً فإنَّ اللهَ - سبحانَهُ - يدخلُهُ الجنةَ!

الجنةُ موْطِنُنا الأولُ، ونحنُ نعبدُ اللهَ - سبحانَهُ - لنعودَ إلى الجنةِ بإذنِ الله.